عُدنا وانتصرنا

لُعْبَتِي لُولُو، شَعْرُهَا أَحْمَرُ ثَوبُهَا أَخضَرُ وأَبيض تَماماً بِأَلْوانِ عَلَمِ بِلادي. اشْتَرَتْهَا لي أُمّي في عيدِ مِيلادي الثَّالِثِ، لِتَكُونَ رَفِيقَتِي في لَحَظاتِي الجَمِيلَةِ. تَنامُ لولو بِقُرْبِي كُلَّ يَوْمٍ على السَّرِيرِ، لَكِنَّ أَعْيُنَنا لا تَغْفو سِوى على صَوْتِ أُمّي يَقُصُّ لَنا أَحْلى القِصَصِ.

● أُمّي، احْكي لي عَنْ ضَيْعَتِنا في الجَنوبِ.

● هِيَ أَرْضٌ خَضْراءُ مُزَيَّنَةٌ بِالوُرودِ، وَسَماؤها صَافِيَةٌ تُحَلِّقُ فيها عَصافيرُ كَثيرَةٌ وَبُيوتٌ جَميلَةٌ، وَفيها سُكّانٌ طَيِّبونَ يَعيشونَ بِسَعادَةٍ وَفَرَحٍ.

● لماذا لا تَأْخُذيني لِأَزورَ ضَيْعَتي الجَميلَةَ؟

● اسْمَعي يا حُلْوَتي، في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ، غَطَّتِ السَّماءَ طائِراتٌ كَثيرَةٌ.

● طائِراتٌ مِنَ الوَرَقِ؟

● لا يا صَغيرَتي، هِيَ طائِراتٌ كَبيرَةٌ تَرْمي الصَّواريخَ وَالقَنابِلَ.

احْتَرَقَتِ الأَرْضُ، وَمَعَها الأَشْجارُ وَالأَزْهارُ، تَغَيَّرَ لَوْنُ السَّماءِ، وَأَصْبَحَ بِلَوْنِ الدُّخانِ، خافَتِ العَصافيرُ وَطارَتْ لِلْبَعيدِ، وَرَحلْنا عَنْ ضَيْعَتِنا الحَبيبَةِ.

ضَمَمْتُ لولو إلى صَدْري، وَأُمّي ضَمَّتْنا إلى صَدْرِها وَقالَتْ:

● لا تَحْزَني يا حُلْوَتي، إِنَّ أَرْضَنا سَتَعُودُ إِلَيْنا وَسَنَنْتَصِرُ عَلَى الصَّهاينَةِ.

إِنَّهُ الخامِسُ وَالعِشْرونَ مِنْ أَيّارَ عامَ 2000، يَوْمٌ لَنْ أَنْساهُ أَبَداً، فَفيهِ وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَلْعَبُ مَعَ لولو بِتُرابِ الضَّيْعَةِ.

...كانَ الصَّيْفُ حاراً هَذا العامُ، لَقَدْ مَرَّتْ سِتُّ سَنَواتٍ على عَوْدَتِنا.

● إلى أَيْنَ تَهْرُبينَ أَيَّتُها العَصافيرُ؟

إِنَّها حَرْبُ تَمُّوزَ... فَقَدْنا فِيها الكَثيرَ مِنَ الأَحِبَّةِ وَالأَصْدِقاءِ. هَذِهِ المَرَّةَ كَانَتِ العَوْدَةُ للضيعة أَشْبَهَ بِحُلُمٍ لِكَثْرَةِ الطَّائِرَاتِ وَالمَدَافِعِ وَالجُنُودِ.

حَضَنْتُ أمّي بِقُوَّةٍ وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ:

● أُمّي، احْكي لي حِكايَةً جَميلَةً، أَنسى فيها صَوْتَ الطّائِراتِ خارِجَ النَّافِذَةِ.

● إِفْتَحي عَيْنَيْكِ يا حُلْوَتي، سَأَرْوي لَكِ الحِكايَةَ في بَيْتِ الضَّيْعَةِ. قُومي وَاحْزِمي الأَمْتِعَةَ لَنَعُود، لَقَدِ انْتَصَرْنا.

قصّة: زهراء بريطع
رسم: علي رضا جلالي فر